أسباب الأمراض في المصادر الكلاسيكية

د. أمنية جمال الدين الشعراوي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملخص

لفتت أسباب الأمراض ومداواتها نظر اليوناني قديمًا فأفرد لتفسيرها الكثير من الأساطير وليس أدل عل ذلك من نسجهم لأسطورة خلق باندورا Pandora ، لتشكل أول ظهور للأمراض كعقاب من الآلهة على خطأ أو إثم ارتكبته واحدة من بني البشر.اختلفت آراء كتاب الملاحم وكتاب المسرح وأيضاً المؤرخين حول أسباب الأمراض حسب ماوردت في سطور أعمالهم.

قدم معلم اليونان الأول هوميروس في الإلياذة محاكاة حقيقية للموروث الآرخي الذي قال بأن الأمراض هي عبارة عن عقاب تنزله الآلهة على المذنبين من البشر لذنب ما اقترفه أو للإرادة الحتمية للآلهة في آن واحد. فصور عصر هوميروس البطولي فضائل المحاربين ، والقوة الجسدية ، وعراقة الدم والنسب ، فنجد ميل هوميروس إلى وصف الظواهر الجمالية وتفسيرها وكذلك حرص هوميروس على التعاليم الأخلاقية الأمر الذي جعله ينأى بأبطالهم عن الواقع.

أما هيسيودوس فلقد أرجع حدوث الأمراض إلى الأرواح والقوى الخفية التي تحكم على البشر بحكم السحر. فالأمراض بالنسبة له لا تحصى ولا تعد وتهاجم البشر بإرادتها الذاتية ، وذلك بسبب فعلي ناشئ أو واقع ضمن الجسم ، وليس بقرار إلهي منفرد. فالأمراض بالنسبة لهيسيودوس موجودات تهاجم وتصيب الناس من تلقاء نفسها.

أما عن أسباب الأمراض عند كتاب اتراجيديا اليونانية فلقد ظلت الدراما مرتبطة بالجوهر الأسطوري والفكر الإلهي والغيبي في إحداث الأمراض. فحاكى سوفوكليس الموروث الآرخي حيث صور الإنسان كشريك أضعف أمام الآلهة في هذا الوجود فهو ينقاد لأوامرها إنقياداً أعمى أو يجبر على ذلك بالعذاب والمعاناة حتى يدرك الحكمة المستفادة من الأحداث.

أما يوريبيديس فكان أكثر كتاب التراجيديا الإغريقية اهتماماً بتحليل النفس البشرية ، فوضع مفهوماً جديداً للنبل لا يقوم على الحسب والنسب بل على صفاء النفس وطهارة القلب. فصور الأمراض النفسية من جنون وهلاوس وإضطرابات إلى أفعال البشر جنباً إلى جنب مع غضب الآلهة وإرادتها.

أما عن المؤرخين فلقد شكل كل منهم مرآة لعصره ، حيث تأثر هيرودوتوس بالمفهوم الآرخي لإحداث الأمراض. فآمن بأن الأمراض هي عقاب ينزله الآلهة على إثم ارتكبه أحد البشر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من كراهية أو غطرسة أو ظلم أو انتهاك للحرمات. بينما جسد ثوكيديديس عصر التنوير في مجالي الطب والتاريخ أصدق تجسيد ، والذي عكس إلى حد كبير المؤثرات العقلانية الأيونية فلقد كـــان وصفه بمثابة تسجيل للوقائع والحقائق تحمل في طياتها آرائه هو الشخصية مصحوبة بألفاظ وتعبيرات طبية توشي بفهمه لأهم المبادئ الطبية في عصره.

أما عن ديودورس الصقلي فلقد صور أحد نماذج كتاب القـــرن الأول المـــيلادي الـــذين عاصروا شروح وتحقيقات على أعمال الإسكندرية العلمية فنهل منها القدر الوفير. فجـــاءت آراءه تحمل روح هذا العصر مع احتفاظه أيضاً ببعض مناحي الموروث الآرخي في بعض تفسيراته.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا- أسباب الأمراض عند كُتَّاب الملاحم :

لفتت أسباب الأمراض ومداواتها نظر اليوناني قديمًا فأفرد لتفسيرها الكثير من الأساطير، وليس أَدَل على ذلك مِن نسجهم لأُسطورةِ خلق باندروا[1] Pandora ، لتُشكِّل أول ظُهُور للأمراض كعِقابٍ من الآلهة على خطأ أو إثم ارتكبته واحدة من بني البشر. فباندورا هي المخلوقة التي صنعها هيفايستوس Hephaestus إله الحدادة بأَمرٍ مِن زيوس على أَعيُن الآلهة، ثُمَّ منحها كُلُّ إله نعمةً مِن نعمِه ، كما منحتها كُلُّ ربَّة صِفةً مِن صفاتها ، أو جانبًا مِن طبيعتها ، ومِن ثَمَّ سُمِّيَت "باندورا" : **ανδώραΠ** ، أي: "كل العطايا" ، أو "هدية الجميع" .

لم تَكُن الآلهة ، ولا الرَّبَّات يعرفون حقيقة مَقصِد زيوس مِن خَلقِ باندورا أو صندوق الهدايا الفاخر الذي سلَّمه هرميس رَسولُ الآلهة إليها عند وصولها إلى الأرض. وعلي الأرض عاشت باندورا في مجتمع الرجال من دون فساد أو ظُلم ، ومن دون ألم أو مَرض ، ثم من دون نزاع أو وقيعة ، لكنَّ زيوس أراد أن تكون غريزة حُبِّ الاستطلاع والفضول من مُقومَات شخصية باندورا ، فسيطرت عليها رَغبةٌ جَارفةٌ لمَعرفةِ مُحتويات الصُندوق ، وبفتح باندورا للصُندوق انتشرت الأمراض والعلل ، كما انطلقت الأرواح الشريرة ، فأتت الشيخوخة على الرجال ، ودَقَّ الشقاق والطمع بين الأشقاء ، إلى غيرها من الأمراض النفسية والعضوية.

١- أسباب الأمراض عند هوميروس:

يُطالِعُنا هوميروس Homer ، مُعَلِّمُ اليونان الأول، في أيقونته الفريدة : الإلياذة بوقوع طاعون مُدمِّر، يَنطلِقُ مُتزامنًا مع غضب أخيليوس Achilleus ، ويُخبرُنا أنَّ الإله أبوللون Apollo هو الذي أوقع الضغينة أو العداوة بين أخيليوسوبين أجاممنونAgamemnon، وأنَّه بَعثَ الموتَ المُدمِّر أو المرض الخبيث **νοῦσονκακην** أيضًا ؛ حَيثُ أرسل سَهَمَهُ الفاتك

---

(1) وردت هذه الأسطورة لأول مرة عند هيسيودوس، ويحتمل أنَّها من بنات أفكاره ، وقد ابتكر الجُزء الأول من الأسطورة ليُبرِّر عادة تقديم عظام الذبيحة قُربانًا للإله، وابتكر الجُزء الثاني ليُهَاجِم المرأةَ، ويتهكم من تصرفات بعض الزوجات ... انظر: شعراوي. ع ، (١٩٩٢)، أساطير إغريقية: أساطير البشر– الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ٨٢-٩٦.
Lloyd , G.E.R, (2003) , *In the Grip of Disease : Studies in the Greek Imagination* , Oxford University Press , New York ,17-22.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

βέλοςἐχεπευκέςἐφιεὶςβάλλ[1] على الجيش اليوناني أثناء مُحاصَرتِه طروادة.

ويُفيدنا هوميروس بأنَّ السبب في حدوث هذا الطاعون هو إهانة ἠτίμασεν أجاممنون ابن أتريوس للكاهن خريسيسChryses كاهن أبوللون[2] ، فعندما جاء الكاهن إلى مُعسكر الأخيين ليفتدي ابنته خريسيChryse التي كانت مِن نصيب القائد أجاممنون، رفض القائد الفدية ، وتعامل مع الكاهن بتعالٍ وغطرسة ، الأمر الذي أثار غضب الإله أبوللون؛ فأرسل الوباء عقابًا على سُوء خُلُقِ القائد ، وردًا لكرامة وحق الكاهن المكلوم.

ولقد صَورت الملحمة صُورًا مُختلفةً للهلاك الشامل الذي أَدَّى إلى إبادة الحياة على الأرض؛ حَيثُ انتشر الطاعون بين الحيوانات أولًا ، ثُمَّ بين البشر، لدرجة أنَّ المحارق امتلأت بالجُثث، وصَدَرَ منها دُخانٌ كَثيفٌ[3].

وعلى أثر ذلك اقترح أخيلّيوس على اليونانيين اللجوء إلى استشارة العَرَّاف كالخيس Calchas الذي كشف لهم حقيقة هذا الوباء λοιμὸςὁ[4] ، وأنَّه انتقام من الإله أبوللون ، وأَكَدَّ العَرَّافُ أنَّ على اليونانيين أن يرجعوا الفتاة إلى أبيها من دُون فِديةٍ ، بل أن يُقدِّمُوا ذبيحةً مئة ثور كقُربان لهذا الإله ، فاستجاب اليونانيون لرأي العَرَّاف، وطهروا أنفسهم ، وألقوا بالمُدنَّسَات في البحر، ثُمَّ قدَّمُوا القرابين للإله ، وتَمَّ استرضاء أبوللون فتَوقَّف الطاعون أخيرًا.

يتضح لنا مما سبق أنَّ الحالة المرضية التي أمامنا هي أُولَى نماذج الطب الديني في الأدب

---

(1)Homer, Iliad, I,50-52
(2)Ibid ,I, 11-12.
(3)Ibid. I, 52.

(4) اُستُخدِمَ لفظ : ὁ λοιμὸς "الوباء" ؛ للتعبير عن الأمراض الجماعية التي تُصيبُ مَجموعةً مِن البشر في آنٍ وَاحدٍ في كُلٍّ من التراجيديا ، والكتابات التاريخية ، والأدب الطبي المُتمَثل في المجموعة الأبقراطية ، كما ورد أول استخدام لكلمة : λοὶμος (أي: طاعون أو وباء) في الإلياذة في الكتاب الأول (I,61) ، كما ذكره هيسيودوس في "الأعمال والأيام"Ἔργα καὶἡμέραί(243).

ولقد آثر مُؤرِّخو الطب الحديث ترجمة هذا اللفظ : λοὶμος، أي الوباء بمعناه العام وليس بمعنى الطاعون ؛ لأنَّ الطاعون الدبَّلي Bubonic plague هو ذلك الذي يُسببه Yersinia Pestis ، أي العُصَية أو باسيل، ولقد سجلت الدراسات الأثرية أن هذه العُصَية وصلت بلاد اليونان خلال العصرين الأرخي والكلاسيكي. انظر: *Grmek ,M.D.(1989), Disease in the Ancient Greek World, trans. M. Muellner, The Johns Hopkins University Press, Baltimore, London, 82-3.*

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اليوناني. أمَّا عن نوع المرض فهو مِن الأمراض الجماعية ؛ حَيثُ عرف اليونانيون قديمًا نوعين مِن الأمراض تلك التي تنتشر بين مجموعة مِن الناس في نفس الوقت ، وأُخرى تُؤثر في الأفراد[١]، كذلك ساد الفكر اليوناني في العصر الأرخيّ ، مُعتقِدًا أنَّ الجروح الخارجية التي تُسبِّبها يَد البشر يُمكِنُ أن تُشفَى بالطرائق الطبية ، ويُقصد بها في الغالب العلاجات الجراحية ، أمَّا الأمراض الداخلية فيُقصَد بها الأمراض العقلية ، أو النفسية ، أو الأمراض المُزمِنَة التي تُلازِم المريض مُدةً طَويلةً مِن الزمن بدُونَ الوصول إلى علاج.

الأمر الذي يُؤكِّد أنَّ الأمراض الجماعية المُتمثلَة في الأوبئة، وكذلك الأمراض الداخلية أو الفردية المُتمثلَة في الحالات النفسية سبَّبتَها قوى عُلوية هي الآلهة ؛ لذا لم يَكُن للأَطباءِ سَبيلٌ في التعرف على مصدرها ، أو في التعامل معها وعلاجها.

وجدير بالذكر أنَّ: "مَشهدَ رَجُلٍ مَريضٍ في الفراش يُعدُّ مِن المشاهد الغريبة في الملاحم؛ فلم يتعرض بطلا هوميروس(سواءً أخيلّيوس أو أوديسيوس) إلى وعكة صحية : إسهال أو التهاب رئوي مثلًا"[٢].

لكن يتحدث هوميروس فيها عن ظُهُور نجم الكلب أوريون Sirius أو "الشِّعرَى اليمانية"، وهي ظاهرة فلكية عدها اليونانيون فألًا سيئًا ؛ حَيثُ رأوا أنَّ "أيام الكلب"ارتبطت بالجو الحار، وأنَّ الشمس تظهر فيها كنَذيرٌ للأمراض التي تَصحَبُ هذا الارتفاع في درجة الحرارة أثناء الصيف والخريف ، وهو ما يترتب عليه هلاك بعض الناس مِن أَثرِ الحُمَّى.

ويذكر هوميروس في وصفه هذا النجم : "هو فأل سيئ، ويجلب الحُمَّى لغير المحظوظين من البشر".[٣]

وتكمن أهمية هذه الفقرة في الربط بين الظواهر الفلكية وبين وقوع الأمراض ، أو بمعنى

(1 Jouanna, J.(2012),"Hippocratic Medicine and Greek Tragedy" in Greek Medicine from(1) Hippocrates to Galen, trans, Neil Allies, ed.by. Philip.van der Eijik, Boston. 55-80.

(2) Darember, C. (1968), *lamedicinedansHomere, Paris, 86.*

(3) Homer , Iliad , 22.31.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آخر: عد اليونانيون أنَّ الظواهر الفلكية هي أحد مُسبِّبات الأمراض[١] ، وهي مِن المفـــاهيم الـــتي ظَـــلَّت ترتبط بعِلمِ أسباب الأمراض حتى عصر النهضة.

وفي الأوديسية يؤكد هوميروس حقيقة إنَّ الأمراض ذات التأثير الفـــاجع ، أو الأمـــراض المُخِيفَة ، مثل : الأوبئة ، والطواعين تُحدِثُها قَوى عُلويّة ، كذلك نَجدَه لم يَذكُر اعتلالًـــا جـــسديًا خطيرًا أو أمراضًا مُزمِنَةً تُصِيبُ أبطاله ؛ ليُؤكِّدَ ملامح العصر البطولي كما فعل في الإلياذة.

وهكذا نجد هوميروس عنـــدما جـــاء ذكـــر بوليفيمـــوسPolyphemus - ذلـــك الكيكولوبس (الكائن ذو العين الواحدة) الذي خدعه أوديسيوس بحيلته الحربية المُحكَمة- جعـــل أحد أقاربه يُفيده بأنَّ مرضه وهو "العمى" لم يَنتُج عن اعتداء أو هجوم أحد أعدائه عليه ، حَيـــثُ إنَّه يعيش في عُزلةٍ ، ومن ثم لم يتسبب أحد في هذا المرض ، بل الإله زيوس هو الذي أرسله ، وأنَّـــه لا مفر مِن إرادة الإله[٢].

وفي موقع آخر مِن الأوديسية نجد شاعرنا الملحميّ يَعقدُ مُقارَنةً سريعة بين الأمراض المفاجئة والمثيرة التي تبعث بها الآلهة ، وبين تلك التي ربما لم تتدخل الآلهة في وقوعها أو إحداثها ، فيـــصف هوميروس في الكتاب الحادي عشر مشهد أوديسيوس Odysseus عند مقابلته لأمـــه المُتوفـــاة أثناء عبوره الممر الكبير في رحلته في العالم السفلي ؛ حَيثُ نجد أوديسيوس يتعجب لسبب موتهـــا، ويتساءل إذا ما كان الموت بسبب أَسهُم الإلهة أرتميس ، أَم بسبب "مرض طويل".

لذا يتبين لنا مِن سطور ملاحم هوميروس أنَّ الشكل المُفاجِئ والمُثير للأمراض قد يَتسبَّب فيه عُنصرٌ خَارجٌ عن المألوف أو عُلويّ ، فالآلام ، والأوجاع ، والأمراض تنزل بالبشر تَـــارةً بـــسبب رغبة الآلهة وإرادتها الحتمية، وتَارةً أُخرى كعقاب على إثم اقترفه أحد البشر .

---

(1) جدير بالذكر أنَّ ملاحم هوميروس، وهيسيودوس زخرت بالمعلومات الفلكية التي حاكت إلى حد كبير مفاهيم الفلك البابلي، لكنَّ ارتباط الفلك ، وكذلك علم الطقس بالطب لم يظهر بصورة جلية ، سوى فـــي كتابات الأدب الطبي في القرن الرابع ق.م. ومن أمثلة ذلك مقالة عن : "الأهويـــة والميـــاه والأمـــاكن" *Places , Waters , OnAirs* ، وهي ثاني مقالات المجموعة الأبقراطية– ضمن طبعة اللويب Loeb Classical library

(1) Homer , Odyssey ,IX.407-11.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- أسباب الأمراض عند هيسيودوس:

يُـــقـــدِّم هيسيودوس خلال ملحمة "أنساب الآلهة" عددًا مِن الحلول الغيبية فيما يَخُـــصُّ قضية أصل الأمراض وأسبابها، حيث أرجع الكاتب حدوث الأمراض إلى الأرواح، والقوى الخفية التي تَحكُم على البشر بحُكمِ السحر.

ويُؤكِّد هيسيودوس هذا المفهوم في قوله :

" يَجولُ عَددٌ لا يُعدُّ ولا يُحصَى مِن الآلام **λυπρα** حول البـــشر،؛ لأنَّ الأرضَ مَمتلئـــةٌ بالشرور**πλεíηκακῶν**، وكذلك البحر، ومنهما أي: من الأرض، والبحر تَحلُّ الأمراض على البشر ليلًا ونهارًا ؛ فهي تَجولُ مِن تِـــلقاءِ نفسها **αυτόματοὶ** حَاملةً الـــشرور إلى البـــشر... وذلك لأنَّ زيوس الحكيم قد حَرَمَهَا (أي : الأمراض) الكلام" [١].

فالأمراض بالنسبة إلى كاتبنا الملحميّ ، لا تُحصَى وتُهاجِم البشر بإرادتها الذاتية ؛ وذلـــك بسببٍ فعلي نَاشئ أو وَاقعٍ ضمن الجسم، وليس بقَرارٍ إلهي مُنفَرِدٍ ، فنجد أنَّ هيسيودوس قد نـــأى بنفسه ، وبمفهوم ملحمته بعض الشيء عن الموروث الهوميريّ ، أو الأرخي التقليدي الذي نـــادى بأنَّ الأمراض مِن صُنعِ الآلهة فقط ، فأوضح أنَّ الأمراض بإمكانها أن تُهاجِم أو تُصِيب النَّاسَ مِـــن تِلقاءِ نَفسِها ، الأمر الذي يُؤكِّد أنَّ الأمراضَ موجودات ومن ثم لها وُجودٌ مُستقل.

ثانيًا- أسباب الأمراض عند كُتَّاب التراجيديا :

سجلت أَسطُر الشعر المسرحي اليوناني مُحاكاةً حقيقيةً للموروث الأرخيّ المُتعلـــق بمفهـــوم الأمراض ؛ حيث ظلت الدراما مرتبطة بالجوهر الأسطوري والفكر الإلهـــي والغـــيبي في إحـــداث الأمراض ، فنجد الجوقة اليونانية تُعلن بين الحين والآخر عن إرادة الآلهة في الانتقام من الظالمين ، أو في تحقيق ما ترى أنه العدل بين البشر، وتنتصر إرادة الآلهة غالبًا ، ويُصوَّر بنو البـــشر ضـــعافًا ، لا حيلة لهم ، يتجرعون البؤس ، والخوف ، والمرض ، ولا يجدون الترياق سوى في رؤى العـــرافين ، ونبوءاتهم في محاولات عدة لإرضاء الآلهة ، وإزالة غضبهم.

---

(1)Hesiod , Works and Days.100-4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١ - أسباب الأمراض عند سوفوكليس:

استهل سوفوكليس مسرحية : "أُوديب ملكًا" بتصويره لطاعون λοιμος فاتك يَحلُّ بمدينة طيبة، ويغمرها من شرقها إلى غربها ، حتى أتى على الأخضر واليابس، وكُلُّ هذا من دون أن يعرف المُشاهِد مصدر الطاعون أو سببه، وذلك يُعيد إلى أذهان المشاهدين وعيونهم أول سطور إلياذة هوميروس.

ففي مقدمة المسرحية πάροδος ἡ يظهر شيوخ الجوقة وشبابها، وقد بدت عليهم اللهفة والقلق لما آل إليه حال المدينة من موت وهلاك ، ونجدهم يتوسلون ويتضرعون لحوالى سبعة آلهة في آنٍ واحد أن يرفعوا عنهم هذا البلاء ، ويوقفوا ما لَحِقَ بالمدينة من دمار، كما يظهر أوديب نفسه ملك طيبة- على الرغم من شجاعته في مواجهة الوحش [١] الذي أخاف أهل طيبة ردحًا من الزمان- وهو يلجأ عاجزًا إلى تريسياس عرَّاف طيبة.

فلقد ذكر أُوديب أنَّ العلاج الوحيد ἸΙασινμόνην لإنقاذ المدينة τήνδ' ἐρυσαὶμηνπόλιν[٢] يأتي باللجوء إلى نبوءة أبوللون ، كما أرسل كريون شقيق زوجته لاستشارة نبوءة دلفى ،وهو ما يعكس العقلية الدينية في ذلك الوقت.[٣]

يُوضِّح سوفوكليس أن مُعاناة المدينة نابعة من "الدنس" μὶασμα [٤]الذي حَلَّ

---

(1) سفنكسΣφὶγξ تعني : التي تخنق ، وهي : وحش مهول ، أو مسخ هائل الحجم ، رأسها رأس أنثى ذات وجه حلو الملامح، وجسدها جسد لبؤة، وذيلها ذيل أفعى ، ولها جناحان مثل الصقر الضاري ، وكانت تسكن قمة جبل فيكيوم، وتستوقف الرائح والغادي ؛ لتُلقي عليه الأُحجية، وتطلب منه أن يجد لها حلًا لكنَّ الناس كانوا يفشلون دائمًا فتفترسهم. انظر: شعراوي، (١٩٩٢)، ص ٢٤١- ٢٥٣.

(2)Sophocles, Oedipus Tyrannus,68

(3) جدير بالذكر أن سوفوكليس قد عاصر وباء أثينا الذي أهلك القسم الأعظم من سكان هذه المدينة إبان السنة الأولى من الحروب البلوبونيسية ، فلقد انتشر الوباء في ٤٢٩ ق.م.، أما مسرحية "أوديب ملكًا" فترجع إلى عام ٤٢٥ ق.م. وللقراءة عن الصلة بين وباء أثينا، وصدور المسرحية انظر:

Knox, B. M. X. (1956), "The Date of the Oedipius Tyrannus" *American Journal of Philology*,. 133- 147.

(4)استُخدِمَ هذا اللفظ في الكتابات الأدبية القديمة تَارةً ؛ للتعبير عن الدنس الجسدي، وتَارةً أُخرى ؛ للتعبير عن الدنس العقائدي. ويتمثل الدنس الجسدي في عدة صور، منها : التعامل مع الميت : إمَّا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالمدينة، وأن هذا الدنس ينتج عن وجود أحد الأشخاص الذين أقاموا في ربـــوع تلـــك المدينـــة **ὥςτεθραμμένονχθονι**، وأنه يجب أن يُستبعَد ذلك الشخص أو يُطرد من المدينـــة[١] ؛ وذلك لأن هذا الدنس مُميت (لا علاج له) **ἀνήκεστον**[٢].

وجدير بالذكر أن هذا الدنس قد حَلَّ على المدينة بـــسبب قتـــل أُوديـــب لأبيـــه الملـــك لاؤسLaiu، ثُـــمَّ زواجه من أمه إيبكاستا ، وذلك من دون علم أوديب بشخصيتي أمـــه وأبيـــه الحقيقيتين. وعندما يسأل أوديب عن سبيل التطهـــر **ποίῳκαθαρμῷ** يَـــردُّ عليهكريـــون بـــأنَّ: " ذلك يكون إما بالنفي **ἀνδρηλατοῦντας** أو يكـــون بالقـــصاص نفـــسًا بـــنفس **ἢφόνῳφόνονπάλινλύοντας** ؛ حيث إنَّ إراقـــة الـــدماء **ἵμαα**هيالتيجلبتالعاصـــفة (الخراب) للمدينة[٣]".

بالملامسة عند الدفن وإما بالإقامة في بيت الميت حتى ، والحيض الشهري للبنات أو السيدات ، والإصابة بمرض الصرع. وأمَّا عن سبيل التطهر من هذا الدنس فكان يتم في العقيدة اليونانية قـــديمًا باســـتخدام التعاويذ والرقى ، أو باستخدام المُسهِّلات والمُـــقـــيـــئـــات ، أو بطرد الشخص غير الطاهر من محيط البيت ، أو من المدينة بأكملها إذا أمكن. وللمزيد حول هذا المفهوم من الناحيتين الدينية والعقائدية. أنظر:

Dodds, E. R. (1951), *The Greeks and the Irrational*, Berkeley, London.

Parker, R. (1983), *Miasma, Pollution and Purification in Early Greek Religion*, Oxford. 12f.

(1) ذكر لنا هيلاديوسHeladius البيزنطي ما كان يتم في أثينا نهاية كل عام ؛ بهدف طـــرد الـــدنس الذي تراكم عبر السنة المنصرمة ، فقد كان يُنظَم موكب ، به اثنان من الفارماكوسοι φαρμακοι- واحد من الرجال، وواحدة من النساء، يُختارون من بين الأشقياء οἰκοῦργοι الذين يستحقون الشنق ، والذين كان يُنظر لهم على أنهم حثالة المجتمع οἱ φαῦλοι التي لابد من تطهير المجتمـــع من لعنتهم ؛ ومن ثم يُطردون من المدينة.

وللمزيد حول الموضوع انظر:

Brock, R. (2000), "Sickness in the body politic. medical imagery in the Greek polis" in *Death and Disease in the Ancient City*, ed. Valerie, M. Hope and Eireann Marshall, Routledge, London &New York. 24- 34.

(2)Sophocles, *OedipusTyrannus*, 95- 100.

(3)Ibid, 100- 104.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢- أسباب الأمراض عند يوربيديس:

إذا انتقلنا إلى تراجيدية يوربيديس "هيبوليتوس"Hippolytus [١] ، وجدناها تتناول مشاعر الحُبِّ ، والرغبة كأمراض نفسية ، فلأول مرة في تاريخ التراجيديا الإغريقية يظهر بوضوح تصوير صادق، ومُعبِّر للحب الحسيّ[٢].

فلقد صوَّر يوربيديس بطلته "فايدرا" Phaidra في صورة امرأة فاضلة دفعتها الربَّةُ أفروديت إلى الوقوع في براثن الحُبِّ المُحرَّم ؛ انتقامًا من ابن زوجها هيبوليتوس ؛ بسبب رفضه المثول لإرادة الربة، وعزوفه عن النساء ، بل فوق ذلك : غطرسته ، وتفاخره بالعفة والطهارة.وأن ذلك هو السبب في الاضطراب الذهني λύπη أو التوتر الذي تشعر به [٣]. ثُمَّ نجد الجوقة تعرض أسماء عدد من الإلهات أو الربَّات[٤] اللائي من الممكن أن يكون لهن دور في المرض النفسي الذي أصاب فايدرا.

كما تذكر نساء الجوقة عند يوربيديس في مقدمة المسرحية أنَّ فايدرا تشعر بالقلق ، والاضطراب ، وعدم الرضى ؛ فهي سريعة الغضب ولا يُسعدها شيء ، لذا نستطيع أن نستنتج أن أول الأسباب التي طرحتها الجوقة على المُشاهدين لتفسير مرض فايدرا هو السبب الإلهي.

وهنا تَجدُر بنا الإشارة إلى أن الدراسات الحديثة قد توصلت إلى سببين علميين أو ربما هما سببان أقرب إلى التفسيرات العقلانية منهما إلى الغيبية : السبب الأول سببنفسي λύπη هو

---

(1) تتناول المسرحية أُسطورة هيبوليتوس البارزة التي مؤداها أن فايدرا ، وهي امرأة ناضجة تشعر برغبة جنسية جارفة نحو ذلك الشاب اليافع الذي ينظر إليها نظرة الابن إلى والدته ، وعندما يصدها، ويرفض أن يستجيب لرغبتها الآثمة تخشى على نفسها من الفضيحة ، فتُبادر إلى اتهامه زُورًا باغتصابها ، أما هيبوليتوس فهو شاب عفيف طاهر يكره النساء، ويحتقر الحب ، لكن أبوه ثسيوس يُصدق ادعاء زوجته فايدرا ، فيطلب إلى الإله بوسيدون أن يقتل ابنه.

(2)Lloyd, (2003), 95- 97.

(3) Euripides, *Hippolytus*- 141- 147, vol. 48, trans. David Kovacs, L. C. L, Harvard University Press, 1995

(4) ربط عدد من أدباء المسرح اليوناني بين أعراض الأمراض النفسية من هلاوس سمعية ، وبصرية ، وهياج انفعالي.... إلخ ، وبين الربات المختلفة. انظر:

Barrett, W. S. (1992), *Euripides; Hippolytus*,Clarendon Press, Oxford, 189; Dodds, (1951).,77.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحزن، والاضطراب الذهني.

أما السبب الثاني فهو سبب فسيولوجي؛ حيث ذكرت الجوقة أن: " المرأة ضعيفة التكـــوين بطبيعتها" [١] ، وهذا ما أكده الفكر الأبقراطي في عدد من مقالات المجموعة الأبقراطية التي تحمل عناوين : "عن أمراض النساء" On Diseases of Women، و "عـــن طبيعـــة النـــساء" Nature of Women ، و"النساء العقيمات" Sterile Women[٢] ، حَيثُ أَقـــرَّ بأنَّ النساء بطبيعتهن يتعرضن إلى فترات من الضعف الجسدي والمعنوي لأسباب فسيولوجية، وهذا هو ما سبق ، ولَّمحت إليه جوقة نساء ترازين[٣].

وعلى الرغم من منطقية هذين السببين ، وقُـــربهما إلى حد كـــبير مـــن الواقـــع العلمـــي الصحيح، لكن كاتبنا التراچيديّ قد حسم مسألة تأثره بالطب الأبقراطي[٤] في عصره من عدمـــه ، بأن عبَّر عن قلة حيلة بطلته عبر اعتراف الإلهتين أفروديت، وأرتميس ؛ حيث أَقـــرَّت الأولى بـــأنَّ فايدرا حسنة السمعة ، لكنها سوف تموت ، لأنها أداة للثأر من هيبوليتوس ، وكما اعترفت الربـــة أرتميس بأنَّـــه من الطبيعي أن يُخطئ أفراد البشر ما دامت الآلهة قد قررت ذلك.

وأخيرًا وليس آخرًا يُعدُّ مرض فايدرا نموذجًا فريدًا لتصوير مراحل المـــرض مـــن حيـــث السبب، فالتشخيص ثم مآل المرض (وهو في هذه الحالة : الانتحار) ، لكنه في نفس الوقت يُمثِّـــل نموذجًا للقاعدة العامة للموروث العقائدي بأن الآلهة هي مَنْ تبعث بالمرض، والجنون للبـــشر، وأن الآلهة وحدها هي التي تستطيع أن ترفع غضبها، وسخطها عن البشر[٥].

---

(1) Euripides, *Hippolytus*, 161 ff.

(2) تشغل هذه المقالات كامل الجزء الثامن من طبعة ليتريهLittré الخاصة بالمجموعة الأبقراطية.

(3)Jouanna, (2012), 65- 6.

(4) Ibid.

(5) جدير بالذكر أن إيو Io فى مسرحية "بروميثيوس مقيدًا" Prometheus Vinctus عند أيـــسخولوس قد أصابها الجنون بفعل غيرة الربة هيرا. وكذلك ظلَّت الإيرينيات (ربات الانتقام) فـــي مـــسرحية "حاملات القرابين"Choêphori barriersImmolitions تُطارد أوريستيس ؛ لتنتقمن منه ، لقتلـــه أمه كليتمنسترا.
وعند سوفوكليس أُصيب أجاكس Ajax بالجنون ، بسبب الربة أثينة. وعند يوربيديس جُنَّ هيراكليس بفعل الربة ليسا Lyssa، وذلك بأمر من الربة هيرا ، ونجد أن جنونه الذي دفعه إلى قتل أولاده قد أنهته الربة أثينة في مسرحية "هرقل مجنونًا"Hercules Furens.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا : أسباب الأمراض في الكتابات التاريخية :

قدم مُؤرخو العصر الكلاسيكي ، والهلينستي قـدرًا وفيرًا من الحكايات والقـصص عـن الأمراض ، حَيثُ صوَّر هيرودوتوس، وثوكيديديس، ومن بعدهما ديودوروس الصقلي عددًا كـبيرًا من الحالات المرضية الحقيقية.في الواقع تفاوتت دقة وصف الحالات المرضية ، والاهتمـام بمعرفـة أسباب المرض الجماعي منه أو الفردي ، ومتابعة أعراضه ، ثم تعديد ما له عند المؤرخين الثلاثـة ، لكنها في المجمل تقدم قدراً من المنهجية العلمية المستحدثة ، الأمر الذي يجعلنا نقر بوجود قدر كبير من التوافق بين اهتمامات المؤرخين والأطباء عبر العصور.

١- أسباب الأمراض عند هيرودوتوس:

يميل هيرودوتوسبوضوح إلى إقرار الموروث التقليدي فيما يخص أسباب الأمـراض؛ حيـثُ يُـقـرُّ بأن الأمراض سواءً النفسية منها أم الفسيولوجية ، هـي صـورة مـن صـور العـذاب ἀγοϛότ الذي تُرسله الآلهة ؛ بسبب سُوء أفعال البشر، أو الآثام التي يرتكبونها.

كما يُصوِّر لنا هيرودوتوس الغطرسة والتكبر المُفرط ، اللذين يتصف بهما الفُـرس بـصفة عامة ، وإكسيركيسXerxes بصفة خاصة ، فنجده يُجسِّد جزاء هذه الرذائـل أو الأخـلاق السيئة في صورة الهزيمة التي أَحلَّت بالفُـرس في معـركتي : سلاميـسوبلاتيا ، كمـا يـضرب هيرودوتوس المثل بفيريتيميΦερετίμη ابنة باتوسβάττος ، التي أنزلت عليها الآلهة غضبها في صورة مرض مزمن أو كارثة صحية ؛ جزاءً لما ارتكبته من وحشية أو همجية ، حين قامت بعقاب أهل برقة ، لقتلهم أركيسيلاويسArcesilaus ، فـقـطَّعت أثداء نسائهم ، وطوَّقت الرجال حول سور المدينة ليموتوا على الخوازيق ، ومن ثم كان جزاء فعلتها البشعة أن أصابتها الآلهة بمرض مُزمن "جعل جسدها يهيج ، ويضطرب ؛ لتخلخل الدود فيه ، وهي على قيد الحياة".(١)

ويُورِدُ لنا هيرودوتوس عددًا من الحالات التي ربما تُصوِّر قدرًا من التناقض أو التضارب بين ما اعتنقه المُؤرِّخ من الموروث الطبيعي التقليدي ، وبين ما يفرضه الفكر العقلاني أو الطبيعي علـى

Herodotus, *The Histories*, 4. 202-5, vol. I. ed. K. Hude: 3rd edn. 1927,(١)OxfordUniversity Press.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تفسير الأحداث والقصص ، فنجده يضرب مثلًا بجنون قمبيزCambyses[1]، وكليومنيسCleomenes[2]. فالأول قد عُرِفَ عنه الوحشية ، والعنف إلى درجة غير إنسانية، ثم يُذكَر أنَّ المصريين قد رأوا في محاولته ذبح عجل أبيس[3] سببًا رئيسيًا لإصابته بالجنون.

ويُؤكِّد هيرودوتوس أنَّ إصابة قمبيز بالجنون جاءت -بحسب تفسير المصريين- كنتيجة لتدنيسه للمُقدَّسات المصرية بصفة عامة ، ثم استهزائه بالإله بصفة خاصة ، واستخفافه بالمُحرَّمات.

أما عن أطرف الأمثلة التي أوردها هيرودوتوس، والتي تُعدُّ انعكاسًا لفكر المُؤرِّخ وعصره، فهي تناوله ظاهرة مرضية تُعرف باسم : العُنَّة ὀρχῖνουχος؛ حَيثُ تعرض مُؤرِّخنا إلى هذه الظاهرة ، وسَجَّلَ الافتراضات التي تداولها الناس حول أسباب حدوثها.

يذكر هيرودوتوس أنَّ الإسكيثيون في طريقهم إلى مصر وصلوا إلى جزء من الشام ، يُسمَّى: فلسطين ، وعِندئذٍ قابلهم بسماتيك ملك مصر، وحاول أن يثنيهم عن التقدم لأبعد من ذلك ؛ فأغدق عليهم الهدايا. تراجع الإسكيثيون بالفعل عن عزمهم التقدم لمصر، لكنهم في طريق عودتهم بعد الانسحاب دخلوا مدينة عسقلان في سورية ، وهناك أقدمت قلة قليلة منهم على سلب معبد أفروديت المُقدَّس ، ونهبه ؛ لذا قامت الإلهة بِصَبِّ غضبها على هؤلاء الإسكيثيين، فأصابتهم بمرض يُسمَّى : "المرض الأُنثويّ" ἠθηλεανοῦσος.

" أرسلت الإلهة على هؤلاء الإسكيثيين الذين سلبوا (نهبوا) معبدها في عسقلان ، وعلى مَن

---

(1) قمبيزCambyses: والد قورش الأكبر، أحد ملوك الفرس الذين غزوا مصر، وبرقة ، وقورينة ، وحكم بابل حتى عام ٥٣٨ ق.م ، وكان طاغية مستبدًا حكم مصر فترة من الزمن ، سجل عليه التاريخ فيها الظلم والاستبداد اللذين اتسم بهما ، وقيل إنه كانت تنتابه مُنذُ طفولته نوبات من الصرع، مصحوبة بتصرفات عنيفة وخطرة تصل إلى حد الجنون.
Dict of Gr & Rom Bio &Myth, s. v. Cambyses.

(2) كليومنيسCleomenes I: يُعدُّ الملك السادس عشر من ملوك إسبرطة ، كان الابن الرابع للملك أناكسندريديسAnaxandrides ، ولقد حكم قرابة تسعة وعشرين عامًا منذ حوالى ٥١٩ ق.م.

(3) عجل أبيس Ἆπις: ذكر هيرودوتوسوس أنه عجل مُقدَّس ، آمن المصريون أنَّ أمه حملت به عند نزول شعاع من النور من السماء على جسدها. وكانت لعجل أبيس علامات مُتميزة ، فلونه أسود ، وبه ماسة عند الجبهة ، (أي: علامة بيضاء مستطيلة) ، وصورة لصقر على ظهره، ويتضاعف الشعر عند ذيله، كما توجد خنفساء سوداء اللون تحت لسانه.
Dict. Gr& Rom Bio &Myth, s. v. Apis.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انحدر مِن سلالتهم ، مرضًا أُنثويًّا "[1].

٢- أسباب الأمراض عند المُؤرخ العلميّ ثوكيديديس:

شكل ثوكيديديس نموذجاً فريداً مِثالًا للمُؤرِّخ العلمي الذي ربط بين البيئة الجغرافية والحوادث التاريخية ، فسجل أول محاولة لوصف الحرب من حيث الأسباب والتقلبات بطريقة علمية ؛ كالطبيب الذي يَصفُتقلبات المرض.

كما تناول مُؤرِّخِنا في الكتاب الثاني من عمله : "تاريخ الحروب البلوبونيسية" -من الفصل السابع والأربعين إلى الحادي والخمسين ، وبصورة مُختصرة في الكتاب الثالث الفصل ٨٧ - اجتياح الطاعون لأثينا ، مع وَصفٍ علميٍّ دَقيقٍ لأعراض المرض ، وما تجشم الجنود إثره مِن آثارٍ نَفسيةٍ مُؤلِمَةٍ ، ثُمَّ ما ترتب عليه مِن آثارٍ دِينيةٍ وعَقائديةٍ ، فضلًا عن الخسائر العسكرية، والاقتصادية الفادحة.

ويُعدُّ أول الأسباب التي أشار إليها أنَّ أثيوبيا هي المصدر الجغرافي للوباء ؛ فهي المكان الذي انطلق منه الوباء إلى مصر، ثم ليبيا ، ثم بلاد الملك (مملكة الفُرس) ، حتى وصل إلى أثينا ، وكذلك ذكر ثوكيديديس في الفصل الأول (I, 23) ظَواهر طَبيعيةً سبقت الطاعون ، هي : الزلزال، والجفاف ، والكسوف ، وربَّما أراد ثوكيديديس من ذكر هذه الظواهر أن يُشير إلى وجود مُعتقَد يربط بين الجغرافية وحلول الأوبئة ، حَيثُ عدت الجغرافية عاملًا هامًا مِن عوامل إحداث الأمراض.

أما عن ثاني الأسباب التي تخرج من بين العبارات القصيرة المُحكَمَة التي خصها المؤرخ لوصف تداعيات الوباء، فهو ظن الأثينيين أن الإسبرطيين قد قاموا بتسميم صهاريج مياه الشرب." قَام البلوبونيسيون بإلقاء السُمَّ في خزانات المياه"([2]).

لكنَّنا نجده يَذكُر في العبارة التالية للنص السابق أنَّ الطاعون قد وصل أعلى المدينة ، ثُمَّ انتشر إلى مكان آخر، ثُمَّ بدأ في حَصدِ أَعداد هائلة مِن الضحايا ، وأنَّ هذا الهلاك جاء

---

(1) Herodotus, l.105.4.

2) (Thucydides, *History of the Peloponnesian War,* II, 48, 2-3, trans. C.f. Smith L.C.L., (1942), Harvard University Press.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمعدلات غير مسبوقة ، الأمر الذي يجعل القارئ يستبعد أن يكون تسميم العدو لخزانات المياه هو السبب المطروح.

أما السبب الثالث الذي يظهر لنا من بين السطور فهو تَكدس المواطنين ταπολυανθρωπότατα خلف أسوار المدينة.إذ يَذكُر ثوكيديديس أنَّ الذين جاؤوا إلى المدينة قد عانوا بشدة مِن آثارِ الطاعون ؛ وذلك بسبب أحوالهم المعيشية ، حيث أقاموا في أماكن كريهة بغيضة ، سواءً في الملاجئ أم في الأبراج التي تقع على طول أسوار المدينة ، وأضاف إنهم مع زيادة عدد المُستوطِنين اضطروا إلىالانتقال إلى ميناء بيريه[١]. ويستطرد في موقع آخر من النَصِّ ليذكر أنَّ مجموعات من المُواطِنين قد أقامت في أكواخ صَغيرةٍ ضَيقةٍ ، وعانت حَرَّ الصيف الخانق، وأنَّ أعدادًا هائلة منهم لقيت مصرعها إثر هذه الظروف البيئية والاجتماعية الطارئة[٢].

ويُضافُ إلى ذلك تَراكُم جُثثِ المُوتَى فوق بعضها البعض νεκροὶἐπ᾽ἀλλήλοις ، بينما تمتلئ الطرقات بمؤلاء الذين يلقون حتفهم στενοοκσῇνθ ، أو هؤلاء الذين يتمرغون في الطرقات ἐνταῖςὁδοῖςἐκαλινδοῦντο حتى الموت[٣].

أما عن السبب الرابع والأخير فهو يبتعد في مفهومه عن التفسيرات العلمية والطبية ، فهي مُصابَةٌ بمرض اسمه : مرض المدينةπολις νουσουσα στασις ولأنَّ ثوكيديديس كَاتب سِياسي بالدرجة الأولى ، فلقد سَلَّطَ الضوء على نتائج الطاعون النفسية ، وعلى عبثية النبوءات ، والصلوات الهادفة إلى تجنبه ، وهو يقرن تفشي الوباء بالأمراض السياسية المُستَوطِنَة في المجتمع الأثيني من ناحية، وفيما بين الدويلات الإغريقية من ناحية أُخرى ، فَشَبَّه عجز الأطباء والمتخصصين عن إيقاف هذا الطاعون ، ودرء مخاطره بعجز الساسة عن جمع الأثينيين كافة على كَلِمَةٍ سواء ، أو بالأحرى فرض سياسة واحدة عليهم.فلم نجد عنده كَلِمَةً تشي بإيمانه بالقدرية أو فكرة الانتقام الإلهيّ[٤]، لكنه يرى أن مصير البشر تقرره أسباب طبيعية ، في مقدمتها قرارات

---

(2) Ibid, 17. 1-3.
(2) Ibid, 52. 1-2
(3) Ibid.
(4) عتمان، أ. (١٩٩٩) الأدب الإغريقي: تراثًا إنسانيًا وعالميًا ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ص٤٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البشر أنفسهم.

٣- أسباب الأمراض عند المؤرخ ديودورس الصقلي:

أفادنا ديودورس الصقلي أحد مُؤرِّخي القرن الأول ق.م، بأسباب فريدة عن طاعون أثينا، تعكس تَأثرًا كبيرًا بالطب الأبقراطي ، فلأول مرة في التاريخ يربط مُؤرِّخ حدوث الأمراض ، وانتشار الأوبئة بالمواقع الجغرافية ، وما يرتبط بها من تربة ورياح ومياه ، فلقد أورد في الفصلين الخامس والأربعين ، والثامن والخمسين مِن الكتاب الثانى عشر مِن مُؤلَفِه : " مكتبة التاريخ "**βίβλίοθήκηἱστορική** ، أربعة أسباب لحدوث الطاعون ، وذلك في لغة بسيطة، ومحددة، وسلسة.

يفتتح ديودورس الفصل ٤٥ بأول أسباب انتشار الوباء ، وسرعة سريان العَدوَى عند غزو اللاكيدايمونيين ، والبلوبونيسيينلأتيكا للمرة الثانية في ٤٣٠ ق.م. فعندما لم يقوَ الأثينيون على مواجهتهم احتموا داخل أسوار المدينة ، ونتج عن ذلك تَدفق أعداد غفيرة من البشر داخل المدينة ، الأمر الذي أدى إلى ضيق المكان عما يتسع له ، فسقط عدد كبير من ضحايا هذا الوباء ، ويضيف أنَّ كُلَّ ذلك يرجع إلى "تنفسهم الهواء الملوث"[١].

وليُحدِّد لناديودوروس أربعة أسباب للطاعون في أثينا أولى هذه الأسباب هي تراكم المياه في صورة مستنقعات ، فيقول ديودوروس :

"صارت الأرض ممتلئة بمياه الأمطار التي سقطت في الشتاء الماضي ، وصارت الحفر الأرضية تُشبه بُحيراتٍ مُمتلئة بالمياه الراكدة كالمستنقعات، وعندما تتعرض هذه المياه إلى حرارة الصيف تنبعث منها أبخرة ذات رائحة كريهة؛ لذا فهي تفسد الهواء المجاور (المحيط بها)".

بالنسبة إلى ثاني الأسباب فهو: نوعية الطعام الرديئة التي جعلت المرض يتفاقم ؛ حَيثُ صارت المحاصيل غير صالحة ؛ نظرًا لفساد خصائصها ؛ بسبب مياه الري. أما عن السبب الثالث فهو: عدم وصول الرياح الباردة Etesian Winds التي تُلطِّف مِن حرارة الجو صيفًا؛ وبالتالى اشتدت الحرارة ، وصار الهواء شبه مُلتهب ، وصارت أجسام السُكَّان مُعرَّضةً إلى الحُمَّى بسبب شدة الحرارة ، ولذا لجأ المرضى إلى إلقاء أنفسهم في الخزانات ، والينابيع (المُخصَّصة

(1) Diodorus Siculus, *Library of History*, XII, 45.1.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للشرب) في محاولة لإطفاء لهيب الحُمَّى.

ولعلنا نستنتج مما سبق أنَّ هُـناك ثلاثة أسباب منطقية أقرب إلى كتابات أطبـاء المجموعـة الأبقراطية منها إلى آراء المُؤرِّخين وتفسيراتهم ؛ حَيثُ نجد أنَّ ديودوروس الصقلي يُـشير أولًـا إلى فساد الهواء **μἰασμα** بمفهومه الطبي الذي يَنتُج عن انبعاث الأبخرة كريهة الرائحة ، سواءً مـن المياه أم من الجُثث المُتعـفنة ، ثُـمَّ ينتقل إلى السبب الثاني ، وهو الحِمْية أو الغذاء الذي يتناولـه الأفراد ، سواءً في حالة الصحة أم المرض ، وكيف أنَّ جودة المحاصيل وسلامتها تعتمد علـى ميـاه الري من حَيثُ الكمية أو طبيعة المياه ، ويليه السبب الثالث المتمثل في الرياح والموقـع الجغـرافي للمدينة بما يُحدثانه من إشعال أو إخماد لجذوة المرض ، وجميع هذه الأسباب نجد لها صدى في عـدة مقالات في المجموعة الأبقراطية.

أما عن السبب الرابع (أي: غضب الآلهة) فهو يعكس بلا شك الموروث العقائدي الـذي ظل -مُنذُ العصر الأرخيّ- مُرتبطًا بالأمراض الوبائية.ويختتم ديودوروس الصقلي حديثه عن الوباء الذي حَـلَّ على القرطاجيين بملحوظة مهمة رُبَّما يُحاكي بها قرينه ثوكيديديس في وصـفه وبـاء أثينا، وهي فكرة العدوى ، فيقول :

" في الواقع أُصيب الذين قاموا على خدمة المرضى ورعايتهم بنفس المرض ؛ فترتب علـى ذلك سُـوء حالة المرضى بصفة عامة ، فلم يعد هناك مَن يُساعِـدَهُم في محنتهم : فترى الأغـراب يهجرون بعضهم البعض ، بل اضطر الأخ أن يَهجُر أخاه ، واضطر الأصدقاء أن يَهجُـر صـديقه خوفاً منه على ذاته"[١].

(1)Ibid, 71. 4.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com